﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: 17 - 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

يسأل سبحانه وهو العليم؛ لتهدئة نفس الكليم، وطمأنة قلبه السَّليم

لمَّا غلبت الدّهشةُ على موسى عليه السلام في الحضرة الإلَهيّة أراد سبحانه إزالتها؛ فسأله عنِ العصا؛ استجماعًا لقلبه المتوجّس، وتهدئةً لنفسه الحائرة في هذا المقام العليّ، وليبيّن له أنه سبحانه سيجعل لتلك الخشبة التي ليس لها خطرٌ كبير ولا منفعةٌ عظيمة، جليلَ المزايا والفوائد التي لم تكن تخطر له على بال، كانقلابها حيّةً تسعى، وضربِ البحر بها حتّى ينفلق، وضربِ الحجر حتّى يتفجّر منه الماء، ولينبّهه بهذا الطّريق إلى كمال قدرته، وبالغِ عظمته؛ وليعرفَ نقصانَ البشريّة، وأنَّ عقولهم عاجزةٌ عن فهم أغلب ما حولهم منَ الأشياء، وأنّهم محتاجون دائمًا إلى توفيقه سبحانه وهدايته[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِيَمِينِكَ﴾: اليمين: أصله الجارحة، وهي اليد اليمين منَ الإنسان وغيره، واليمين: القوَّة أيضًا[2]، وقيل للحَلِف: يَمينٌ باسم يمين اليد؛ لأنَّهم كانوا يَبسُطون أيمانهم إذا حلفوا أو تحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا[3].

2) ﴿عَصَايَ﴾: العصا: العود، مؤنثة[4]، وفلان يَعتَصي بالعصا: يَتَوَكَّأُ عليها، ويَعتَصي بالسَّيف: يجعله عصا[5]، وجمع العصا:

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 24، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 7/ 317، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 277.

(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ: (يمن).

(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ: (يمن).

(4) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (عصو).

(5) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (عصو).

عُصيٌّ وعِصيٌّ[1]، ويقال للرَّاعي إذا كان قَويًّا على إبله ضابطًا لها: صلب العصا، وشديد العصا[2].

3) ﴿أَتَوَكَّؤُاْ﴾: الوِكاء: رباط الشَّيء، وكذلك كلُّ خيط يُشَدُّ به الشَّيء، وأَوْكَيْته بالوِكاء إيكاءً، إذا شددتُّه[3]، وأصل (وكأ) يدلُّ على شدِّ شيءٍ وشِدَّةٍ[4]، وتوكَّأ على العصا: اعتمد عليها وتشدَّد بها وتحامل عليها في المشي، ورجلٌ تُكَأَةٌ: كثير الاتّكاء، واتكأ على الشّيء فهو متكِئ، والموضع مُتّكَأٌ[5]، ومنه قوله تعالى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾[6].

4) ﴿وَأَهُشُّ﴾: الهشُّ: يقارب الهزَّ في التَّحريك، ويقع على الشَّيء اللَّين، يقال: هَشَشْت الورقَ أَهُشُّه هَشًّا، أي: خبطته بالعصا ليتحاتَّ، ومنه قال تعالى: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾[7]، أي: أضرب بها الشَّجر اليابس ليسقط ورقُها، فترعاه غنمُه[8].

5) ﴿مَئَارِبُ﴾: الأَرَب: فرطُ الحاجة المقتضي للاحتيال لدفعه، فكلُّ أَرَب حاجة، وليس كلُّ حاجة أَرَبًا[9]، وقد أَرِب إلى كذا: احتاج إليه حاجة شديدة، وأَرِب إلى كذا أَرَبا وأُرْبَة وإِرْبَة ومأربة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَئَارِبُ أُخْرَىٰ﴾[10]، وتأرَّبت في حاجتي: تشدَّدت[11]، ولا أَرَب لي في كذا، أي: ليس بي حاجة شديدة إليه[12].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

يعرض السّياق القرآنيُّ حوارًا وسؤالًا استفهاميًّا تقريريًّا من ربِّ العزَّة ﷻ لعبده موسى عليه السلام، على سبيل الإيناس والتَّشريف والتَّنبيه؛ لما سَيُريه سبحانه منَ العجائب والمعجزات الدَّالّة على قدرته، حيثُ يقول: وما هذه الَّتي في يدك اليمنى يا موسى، فيجيب عليه السلام

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (عصو).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (عصو).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرَّاغب، المفردات: (وكأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكا).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (وكأ).
(6) الرَّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (وكأ).
(7) الرَّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ: (هشش).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ: (هشش).
(9) الرَّاغب، المفردات: (أرب).
(10) الرَّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ: (أرب).
(11) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (أرب).
(12) الرَّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفَّاظ: (أرب).

مسترسلًا بقوله: هي عصاي أعتمد عليها في المشي، وأهزُّ بها الشَّجر ليتساقط ورقه فترعاه غنمي، ولي فيها منافع ومصالح أخرى[1].

منافع العصا عديدة، وآيات الخلَّاق باهرة وفريدة

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتها في: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾:

الواو في قوله سبحانه: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ عاطفة، وعطف الجملة على ما قبلها انتقالٌ إلى محاورة أراد اللهُ منها أن يريَ موسى كيفيَّة الاستدلال على المرسَل إليهم بالمعجزة العظيمة، وهي انقلاب العصا حيَّةً تأكل الحيَّات التي يظهرونها؛ وإبرازُ انقلاب العصا حيَّة في خلال المحاورة لقصد تثبيت موسى عليه السلام، ودفعِ الشَّكِّ عن أن يتطرَّقَه لو أمره بذلك دون تجربة؛ لأنَّ مشاهد الخوارق تسارع بالنَّفس بادئ ذي بدء إلى تأويلها، وتُدخل عليها الشَّكَّ في إمكان استتار المعتاد بساتر خفيٍّ أو تخييل[2].

في بعض السُّؤال تعليم واستدلال

بلاغة الاستفهام بـ﴿وَمَا﴾:

أوثِر الاستفهام بـ﴿وَمَا﴾؛ في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾؛ لأنَّها تكون للسُّؤال عن ذوات ما لا يعقل، وأجناسه، وصفاته[3]؛ ولذلك ناسب أن يُسأل بها عنِ العصا لأنَّها ممَّا لا يعقل.

سيق الاستفهام للتَّنبيه والتَّقرير والإعلام

وهو استفهام تقريريٌّ سيق من أجل أن يوقن موسى عليه السلام أنَّه ممسك بعصاه حتَّى إذا انقلبت حيَّة لم يشكَّ في أنَّ تلك الحيَّة هي التي كانت عصاه؛ فهو لتأكيد حقيقة العصا؛ وليطمئنَّ قلب موسى عليه السلام بأنَّه في مقام الاصطفاء، وأنَّ الكلام الذي سمعه كلامٌ من قِبَل الله بدون واسطة متكلِّمٍ معتاد، ولا في صورة المعتاد[4].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 246.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 204.

(3) السَّامرائيّ، معاني النحو: 4/ 261.

(4) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 22/ 24، والماورديّ، النّكت والعيون: 3/ 399، والخازن، لباب التأويل: 3/ 202، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 205.

سر اختيار اسم الإشارة للبعيد ﴿تِلْكَ﴾:

أومِئَ بالتَّعبير باسم الإشارة للبعيد إلى أنَّ السُّؤال عن أمر في شأن العصا غريب

أوثِر التَّعبيرُ باسم الإشارة ﴿تِلْكَ﴾ وهو للبعيد؛ إيماءً إلى أنَّ السُّؤال عن أمر غريب في شأنها؛ ولذلك أجاب موسى ﷺ عن هذا الاستفهام ببيان ماهيَّة المسؤول عنه جريًا على الظَّاهر، وببيان بعض منافعها استقصاءً لمراد السَّائل أن يكون قد سأل عن وجه اتخاذه العصا بيده؛ لأنَّ شأن الواضحات ألَّا يُسأل عنها إلَّا والسَّائلُ يريد من سؤاله أمرًا غيرَ ظاهر، وليُقرِّر في نفس موسى ﷺ المباينةَ البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، وينبِّهَهُ على قدرته الباهرة[1].

معنى الباء ودلالتها في قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾:

جاء الكليم لبقعة المناجاة متوكِّئًا على عصاه

الباء في قوله تعالى: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ للظَّرفيَّة أو الملابسة[2]، والأخير هو المراد إذ إنَّ موسى ﷺ كان ممسكًا بها بيمينه، إذ إنَّه جاء إلى شاطئ الوادي الأيمن منَ البقعة المباركة منَ الشَّجرة متوكِّئًا على عصاه، رفيقةِ دربه.

دلالة التَّعبير باليمين عنِ اليد وسرّ التقييد به:

أوثِر التَّعبير باليمين دون اليد ليكون السُّؤال نائيًا عنِ الغموض والبُعد

قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حال، وسرُّ التَّعبير باليمين والعدول عنِ التَّعبير بكلمة (بيدك)؛ احتمالُ أن يكون في يساره خاتمٌ أو شيء آخر، فلو عبِّر بكلمة (بيدك) فربَّما يلتبس عليه الجواب[3]، فكان السُّؤال بأوضح لفظ وأجلاه؛ وذلك لإذهاب الخوف والهيبة التي عالجها موسى، إذ علِمَ أنَّ مخاطِبَه هو اللّه ربُّ العالمين سبحانه وبحمده.

سرّ التَّعبير بأداة النِّداء (يا) دون غيرها:

الغرض منَ النِّداء بـ(يا) تنبيه موسى لما سيكون من شأن عصاه

الأصل في (يا) أنَّها لنداء البعيد أو مَن هو بمنزلته من نائمٍ أو ساهٍ، فإذا نوديَ بها مَن عداهم فلحرص المنادي على إقبال المدعوِّ

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 150، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 204.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 206.
(3) الكرمانيّ، غرائب التّفسير: 2/ 714، وابن كمال باشا، تفسير القرآن الكريم: 6/ 423.

عليه، ومفاطنته لما يدعوه له[1]؛ فلذلك قالوا: إنَّها تُستعمل للقريب والبعيد، والمستيقظِ والنَّائم، والغافل والمُقبِل[2].

سرُّ إيثار النِّداء بالاسم العلم ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾:

في إيثار الاسم العلم في النِّداء دليلُ محبَّة وتشريف وإدناء

آثر سبحانه مناداةَ كليمِه باسمه العلم ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ إدناءً له وتحبُّبًا إليه، وليشعرَه بما له مِن مكانة عنده سبحانه[3]، ولإزالة ما كان يجده موسى عليه السلام مِن رهبة وخشية وهيبة، قد تذهب بلبِّه عن إدراك ما يخاطَب به.

علَّة فصل ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ عن سابقه:

من شأن جُمَل المحاورات أن تَرِد مفصولةً؛ لتمييز كلِّ ردٍّ ومقولة

الجملة وقعت جوابًا عن سؤاله عمَّا بيمينه[4]، كما أنَّ من شأن المحاورات أن يُفصل بعضُها عن بعض.

نُكْتةُ التَّعبير بالضَّمير المنفصل ﴿هِيَ﴾:

ذُكر المسندُ إليه لبسط الكلام وإطالته، والحرص على تجويد الجواب وبلاغته

عُبِّر بالضَّمير المنفصل ﴿هِيَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ وهو المسند إليه، مع أنَّ غالب الاستعمال حذْفُه في مقام السُّؤال؛ للاستغناء عن ذكره في الجواب بوقوعه مسؤولًا، تناسبًا مع ما وجده موسى عليه السلام من لذَّة المناجاة في حضرة الإله، فعَمَد إلى بسط الجواب بما لا يُخِلُّ بالأدب، أو يجنح إلى الحشو المناكد للبلاغة[5]، وثَمَّ ملمَحٌ آخر، وهو أنَّه لمَّا وقع في السُّؤال قوله: ﴿تِلْكَ﴾ وكان السُّؤال عنِ العصا يكفي فيه أن يقال: (وما بيمينك)، زاد موسى عليه السلام في الجواب ﴿هِيَ﴾؛ لمناسبة اسم الإشارة في السُّؤال؛ ليجتهد وسعَه في الإجابة عن السُّؤال بأبلغ وجه ممكن، وبما يسمح به الأدبُ مع العليِّ العظيم.

(1) الزّمخشريّ، المفصّل، ص: 413.
(2) ابن يعيش، شرح المفصّل: 5/ 49.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4714.
(4) الهاشميّ، جواهر البلاغة، ص: 186.
(5) أحمد شعيب، علوم البلاغة، ص: 261.

سرّ إضافة العصا إلى ضمير الملكيَّة في قوله: ﴿عَصَايَ﴾:

أجاب موسى ﷺ عن عصاه ببيان ماهيَّتها، ونسبها لنفسه تحقيقًا لملكيَّتها

في قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ نسب موسى ﷺ العصا إلى نفسه تحقيقًا لوجه كونها بيمينه، وتمهيدًا لما يعقبُه منَ الأفاعيل المنسوبة إليه ﷺ[1]، فبدأ ببيان ماهيَّتها، ثمَّ نسبها لنفسه لتحقيق ملكيَّتها.

بلاغة القصر بتعريف طرفي الإسناد في قوله: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾:

من أغراض القصر التَّوكيد والحصر

لَمَّا سُئل ﷺ عمَّا بيمينه أجاب بقوله: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ بجعل المسند إليه معرفة، وهو الضمير المنفصل ﴿هِيَ﴾، وبتعريف المسند وهي (العصا) بإضافتها إلى ضمير المتكلِّم؛ ليؤكِّد ملكيَّتَه للعصا، وليخبرَ أنَّ هذه الملكيَّة مقتصرة عليه هو، وأنَّها ليست لغيره، وليس له فيها شريكٌ[2].

علَّة فصل ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ عن سابقه:

أدلى موسى بعلَّة اتِّخاذه العصا؛ خوفًا أن يكون باتِّخاذه إيَّاها ممَّن عصا

فُصِل قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ عن سابقه؛ لأنَّها جملة مستأنفَة[3]، وقعت جوابًا لسؤال مقدَّر، بعد: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾، تقديره: (فما تصنع بها؟) قال: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ الآية[4]، فهو استئناف بيانيٌّ، وبين الجملتين شبه كمال الاتِّصال، ويجوز أن يكون قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ خبرًا ثانيًا لـ ﴿هِيَ﴾[5]، فتكون جزءًا منَ الجُمَل، وقد جاء جوابُ موسى ﷺ مبيِّنًا الغرضَ منِ اتِّخاذه عصاه؛ لعلَّه أن يكون هو قصد السَّائل[6].

سرُّ البَدء بذِكر التَّوكُّؤ قبل غيره من فوائد العصا:

بُدئ في ذِكر منافع العصا وتعديدها ببيان أكثر الأغراض الدَّاعية لاتِّخاذها

ابتدأ موسى ﷺ بذكر التَّوكُّؤ قبل غيره؛ لأنَّه الأصل الذي تُتَّخذ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 10، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 17/ 269.
(2) القزوينيّ، الإيضاح: 3/ 30.
(3) المنتجب الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 4/ 411.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 321.
(5) السّمين، الدّرّ المصون: 8/ 24.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 20.

العصا لأجله، فالاتِّكاء يراوح فيه الإنسان بين قدميه، فيُريح القدمَ التي تعبتْ، وينتقل مِن جنب إلى جنب[1]، ولمَّا قال: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ بذكر نسبتها إليه ﷺ بدأ في ذكر منافعها بمصالح نفسه، فقال: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾، ثمَّ ثنَّى بمصالح رعيَّته، فقال: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ الآية[2]، ويضاف إلى ذلك أنَّه إنَّما جاء إلى المناجاة ماشيًا منفردًا، ولم يكن بصحبته ثمَّ غنم، فابتدأ بذكر التَّوكُّؤ لقُرب عهده به[3].

معنى (على) ودلالته في ﴿عَلَيْهَا﴾:

(على) هنا مستخدَمٌ في معنى الاستعلاء المجازيِّ[4]، فكأنَّه يُصَوِّر أنَّ موسى ﷺ باتِّكائه على عصاه، أنَّه فوقها مستعلٍ عليها، وفيه دليل على التَّمكُّن منها.

علَّة وصل قوله: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾ بسابقه:

تتعدَّد منافعُ العصا وتختلف، فأوثِرَ الوصلُ جمعًا بينَ المؤتلف

العلَّة في وصل قوله: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾ بسابقه هو اشتراكُ اللَّفظين ﴿أَتَوَكَّؤُاْ﴾، و﴿وَأَهُشُّ﴾ في الإخبار عن وظيفة العصا، ولقصد تشريك الجملتين، وعدم وجود ما يدعو إلى الفصل بينهما، وقد حسَّن الوصلَ هنا وجودُ التَّغاير بينَ التَّوكُّؤ على العصا، والهَشِّ بها على الغنم، مع وجود التَّلاؤم الفكري بينَ الغرضين، إضافة لاتِّفاق الجملتين في الخبريَّة والفعليَّة، واتِّفاقِ فعليهما في المضارعيَّة، وإسنادهما إلى فاعل واحد[5].

معنى الباء ودلالتها في قوله: ﴿بِهَا﴾:

أفاد الباء معنى الإلصاق والاستعانةِ

الأصل في معنى الباء أنَّه حرف موضوع للدَّلالة على معنى الإلصاق، فهذا هو الأصل في معناها، ويدخلها معنى الاستعانة[6]،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 10، والشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 15/ 9249.
(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 4/ 525.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 490.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 206.
(5) الهاشميّ، جواهر البلاغة، ص: 181، والمراغيّ، علوم البلاغة، ص: 164.
(6) الزّمخشريّ، المفصّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصّل: 4/ 474، والسَّامرائيّ، معاني النّحو: 3/ 19.

وهذا هو المراد هنا، فإنَّ موسى ﷺ يقبض عصاه ملصقًا بها يدَه الشَّريفة، مستعينًا بها في خبط أوراق الشَّجر لتسقطَ فترعاها غنمه.

معنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودلالتها في قوله: ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾:

دلَّ الحرف على الاستعلاء، وأفاد كاملَ الرِّعاية وغايةَ الإرفاق

استُعملت ﴿عَلَىٰ﴾ هنا بمعنى الاستعلاء المجازيِّ، كقولهم: هو وكيل على فلان، والمعنى أنَّه ﷺ يخبط على رأس الغنم خبطًا خفيفًا، ليُبعدِه عن مواطن تضرُّه، وذلك من هشِّ الورق إذا خبطه خبطًا يسيرًا لينظمه، وفي ذلك دلالة على الرِّفق بهذا الحيوان الضَّعيف، وتوجيهه بأقلَّ ما يكون من توجيه، من غير ضرب ولا زجر[1].

نُكْتَة تعدية الفعل ﴿وَأَهُشُّ﴾ بـ(على) دون تعديته بنفسه:

ضُمِّن (وأَهُشُّ) معنى أُقبل، وفي التَّضمين إيجازٌ بتكثير المعنى وتقليل الألفاظ

عُدّي الفعل ﴿وَأَهُشُّ﴾ بالحرف ﴿عَلَىٰ﴾ دون تعديته بنفسه في قوله: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾؛ لتضمين الفعل ﴿وَأَهُشُّ﴾ معنى الإنحاء والإقبال، والمعنى: (وأزجُرُ الغنمَ بها منحّيًا ومُقبلًا عليها)[2]، وفي هذا التَّضمين ضربٌ منَ الإيجاز؛ إذ إنَّه عبَّر عن كثير المعاني بقليل الألفاظ.

دلالة التَّعبير بالمضارع في قوله: ﴿وَأَهُشُّ﴾، و: ﴿أَتَوَكَّؤُا﴾:

يفيد المضارع معنى التَّجدُّد والدَّوام، وهو مناسب لما سيق له الكلام

أفاد التَّعبير بالمضارع معنى التَّجدُّدِ والتَّكرير، وهو مناسب للمعنى المراد تمام المناسبة؛ فالرَّاعي دائمُ البحث عن مراعٍ طيِّبة لأغنامه، وهو دائم الانشغال بتوفير ما يطعمها إيَّاه ويسقيها، إبقاءً لحياتها، واستدامةً للمنافع المرجوَّة منها، من أكل لحم، أو شرب لبن، أو صنع لَبوس، إلخ، وهو إذ يفعل ذلك كثير الحركة، كثيرُ التَّوكُّؤ، فاستخدامُه ﷺ العصا للأغراض التي ذكرها، هو استخدام متجدِّد ومستمرٌّ ومتكرِّر، فجيء بالمضارع لإفادة هذا المعنى.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 206، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4713.
(2) الجاويّ، مراح لبيد: 2/ 23، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 206.

دلالة التعبير بـ﴿وَأَهُشُّ﴾:

في دلالة التَّركيب على معنى اللّين إشـارة للّطف، وإلمـاحٌ للـرِّفق بالمدعوّين

تدور معاني الهَشِّ حولَ الرَّخاوة واللّين[1]، ومعنى قوله: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾؛ أي: أَخْبِطُ بها، وأضرب أغصان الشَّجر ليسقط ورقُها على غنمي لتأكله[2]، ومفعوله في الآية محذوف، وهو الوَرَق؛ أي: اليابس[3]، وفي التَّركيب دلالةٌ على اللّين وغاية رفقِ الكليم عليه السلام بغنمه، وتلك إشارةٌ إلى أنَّه سيرفُق كذلك بقومه ورعيَّته.

سرُّ تنوُّع التَّعبير بين الاسميَّة والفعليَّة:

في التَّعبير بالفعليَّة معنى التَّجدُّد والاستمرار، وفي الاسميَّة معنى الثُّبوت والقرار

جاء التَّعبير عن منافع العصا متنوِّعًا بينَ الاسميَّة والفعليَّة في قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُا﴾، ﴿وَأَهُشُّ﴾، ﴿وَلِيَ فِيهَا﴾، وهو موائم للتَّفصيل والإجمال في تعديد تلك المنافع؛ ذلك أنَّه لمَّا أوثِرَ التَّفصيلُ بذِكْر أكثر ما تُستخدم فيه العصا، وهو التَّوكُّؤ والهَشُّ على الأغنام، وكان هذا المذكور متكرِّرًا بتكرُّر المشي ورعي الأغنام، ناسب أن يُصاغ ذلك في قالب الجملة الفعليَّة الدَّالَّة على التَّجدُّد، ولمَّا أوثِرَ الإجمالُ في ذكر بقيَّة المآرب، وكان منها ما يقع متجدِّدًا، ومنها غيرُ ذلك، وكانت هذه المآرب مستقرَّة في نفس موسى عليه السلام صيغ التَّعبير عنها بالجملة الاسميَّة الدَّالَّة على الثُّبوت.

الغرض مِن تقديم شبه الجملة على المبتدأ:

في التَّقديم تخصيص متَّشح بالتَّعليل

قوله: ﴿وَلِيَ﴾ شبه جملة، خبر مقدَّم، و﴿فِيهَا﴾ حال، و﴿مَآرِبُ﴾ جمع مأربة - بتثليث الرَّاء - مبتدأ مؤخَّر، و﴿أُخْرَىٰ﴾ صفة لـ﴿مَآرِبُ﴾[4]، وقد قُدِّم هنا المُسنَد وهو شبهُ الجملة ﴿وَلِيَ﴾ الواقعُ خبرًا، على المبتدأ المُؤخَّر ﴿مَآرِبُ﴾؛ لإفادة التَّخصيص؛ أي:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (هشش).
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 8/ 25، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 13/ 211، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 206.
(3) الشّهاب حاشية على البيضاويّ: 6/ 194.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 175.

تخصيص المآرب التي في العصا بموسى ﷺ، وهذا يقوم مقامَ التّعليل لاتِّخاذه العصا، فكأنَّه قال: اتَّخذتها لتلك الحاجات الخاصَّة بي فيها، مع أنَّه لم يُسأل عن ذلك، ولكنَّه فُهم ذلك منَ السُّؤال، فبادر إلى الجواب بما يستوعب ما يمكن تقصّيه مِن أغراض السُّؤال.

معنى اللَّام ودلالتها في قوله: ﴿وَلِيَ﴾:

أفاد اللَّام معنى الاختصاص بالملكيَّة، وفيه إلماح للعِلّيّة

الأصل في اللَّام أنَّه حرفٌ موضوع لإفادة الاختصاص، إمَّا بالملكيَّة وإما بالاستحقاق[1]، وقوله: ﴿وَلِيَ﴾؛ أي: أنَّ هذه المآربَ التي طَويتُ ذِكْرها بالإجمال هي حاجاتٌ لي خاصَّة، اتَّخَذْتُ من أجل تحقيقها هذه العصا، فكأنَّه استشعر أنَّه قد يُلام على اتِّخاذها، فبادر بذِكْر ما قد يعذره عند ربِّه.

معنى (في) ودلالتها في قوله: ﴿فِيهَا﴾:

كأنَّ العصا صارت وعاء يحوي الفوائدَ والمنافع

الأصل في الحرف (في) أنَّه يدلُّ على معنى الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّةً كانت الظَّرفيَّةُ أم زمانيَّة[2]، وقد دلَّ ذلك على أنَّ هذه العصا التي هي خشبةٌ يابسة لم تَعُد كذلك عنده ﷺ، بل صارت كالوعاء الذي يحوي المتاعَ الذي لا يستغني عنه المسافرُ، فكذا صارت العصا وعاءً أو ظرفًا للعديد منَ المنافع التي اتَّخذها موسى ﷺ لأجلها.

الغرض من تقديم شبه الجملة على المبتدأ:

يفيد التَّقديم نوعَ اهتمامٍ، ورُجِيَ منه تطويلُ الكلام

قُدِّم شبهُ الجملة ﴿فِيهَا﴾ على المبتدأ ﴿مَآرِبُ﴾؛ للاهتمام والتَّخصيص، ويُضاف إلى ذلك أنَّ هذا التَّقديم أتاح إتباع النَّعت ﴿أُخْرَىٰ﴾ منعوته ﴿مَآرِبُ﴾ بلا فصل بينهما؛ مراعاةً لنَظْم الكلام، ورعايةً للفاصلة، وثمَّ ملمح آخر، وهو أنَّ موسى ﷺ أخَّر ذكرَ المآربِ

(1) الزّمخشريّ، المفصّل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصّل: 4/ 479، والسَّامرائيّ، معاني النّحو: 3/ 64.

(2) الزّمخشريّ، المفصّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصّل: 4/ 471، والسَّامرائيّ، معاني النّحو: 3/ 57.

رجاءَ أن يسأله ربُّه عنها، فيسمع كلامَه مرَّةً أخرى، وتطول بهذا مناجاتُه سبحانه[1].

دلالة التَّعبير بـ﴿مَـَٔارِبُ﴾:

التَّعبير عن الحاجات بالمآرب يدلُّ على شدَّة الحاجة الدَّاعية لاتِّخاذ العصا، ومجيئُها على صيغة الجمع يدلُّ على التَّكثير؛ أي: هي حاجات ضروريَّة وكثيرة.

الأَرَب احتياجٌ شديد، والجمع للتَّكثير والتَّعديد

سِرّ جمع ﴿مَـَٔارِبُ﴾، ونُكْتةُ تنكيرها:

الغرض من تعبيره ﷻ في قوله: ﴿مَـَٔارِبُ﴾ بلفظ الجمع، وجعلها نكرةً هو التَّكثير؛ ليخبر ﷻ أنَّ له في هذه العصا مآربَ أخرى كثيرةً لم يذكرها؛ ومنافعُ عديدةٌ غير ذلك، كحمل الزَّاد والسَّقي، وطردِ السِّباعِ عنِ الغَنم، وتعليقِ المتاع بها على الكتف، ووصلِ رشاء البئرِ بها إن قَصُر عنِ الوصول للماء، إلخ[2].

الجمع والتَّنكير يفيدان التَّكثير

سرّ تقييد المآرب بقوله: ﴿أُخْرَىٰ﴾:

وُصِفَت المآرب وهي جمع بقوله: ﴿أُخْرَىٰ﴾ وهي مفردة، وذلك حملًا على تأنيث الجمع، لأنَّ ﴿مَـَٔارِبُ﴾ في معنى: جماعة، فكأنَّها جماعات منَ الحاجات الأُخرى[3]، وهذا هو السَّبيل المتَّبَع في توابع جمع ما لا يعقل[4]، وقد حَسَّن ذلك مراعاةُ فواصلِ الآيات، ولو قال: (مآرب أُخَر) لفات ذلك الرَّونقُ البديع في نظم الآيات[5].

كأنَّ الحاجات صارت واحدة، يجمعها الأَرَب وإن كانت متعدِّدة

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المأرَب والحاجة:

الحاجة: من حوج، وهو أصل واحد، يدلّ على الاضطرار إلى

كلُّ أَرَب حاجةٌ، وليس كلُّ حاجة أربًا

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 103، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 206.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 103، وأحمد مطلوب، أساليب بلاغيّة: 1/ 157.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن: 3/ 355.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 41.
(5) الكرمانيّ، غرائب التّفسير: 2/ 714، وابن كمال باشا، تفسير القرآن الكريم: 6/ 424.

الشّيء[1]، أو الفقر إليه مع محبته[2]، والمعنى المحوريّ لجَذْر الحاجة: نقص منفعة أو طُلبة، أو التّعوّق عنها، ويلزم عنه طلبها؛ والحاجة من ذلك النَّقص والعَوْق، فهي تعبير عنهما، وعمَّا يشعر المرءُ بأنَّه مَعوقٌ عنه أو عمَّا ينقصه من مال أو غيره[3].

والمأرَبة والمأرُبة والإِرْبة، كلّ ذلك الحاجة[4]، والأرَب: فرط الحاجة المقتضي للاحتيال في دفعه، فكلُّ أرب حاجة، وليس كلُّ حاجة أربًا، ثمّ يستعمل تارةً في الحاجة المفردة، وتارةً في الاحتيال وإن لم يكن حاجة، كما يقال: فلان ذو أرب، وأريب، أي: ذو احتيال، وقد أرِب إلى كذا، أي: احتاج إليه حاجةً شديدة[5].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حوج).
(2) الرّاغب، المفردات: (حوج).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حوج).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أرب).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (أرب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»